

أضواء البيان

@ 238 @ مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ زَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنْزَّهُمْ كَفَرُوا
بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا
يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُِونَ { والدليل على أن سجود أهل السموات والأرض من العام
المخصوص ، قوله تعالى في سورة الحج : { أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ
فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ
وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدُّبُّ وَأَبٌ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ
عَلَيْهِ الْعَذَابُ } . فقوله : { وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ } دليل على أن بعض الناس
غير داخل في السجود المذكور وهذا قول الحسن وقتادة وغيرهما وذكره الفراء وقيل الآية
عامة والمراد بسجود المسلمين طوعاً انقيادهم لما يريد □ منهم طوعاً والمراد بسجود
الكافرين كرهاً انقيادهم لما يريد □ منهم كرهاً لأن إرادته نافذة فيهم وهم منقادون
خاضعون لصنعه فيهم ونفوذ مشيئته فيهم وأصل السجود في لغة العرب الذل والخضوع ومنه قول
زيد الخيل : وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ { دليل على أن بعض الناس غير داخل في السجود
المذكور وهذا قول الحسن وقتادة وغيرهما وذكره الفراء وقيل الآية عامة والمراد بسجود
المسلمين طوعاً انقيادهم لما يريد □ منهم طوعاً والمراد بسجود الكافرين كرهاً
انقيادهم لما يريد □ منهم كرهاً لأن إرادته نافذة فيهم وهم منقادون خاضعون لصنعه فيهم
ونفوذ مشيئته فيهم وأصل السجود في لغة العرب الذل والخضوع ومنه قول زيد الخيل : %
بجمع تضل البلق في حجراته % ترى الأكم فيها سجداً للحوافر) .
ومنه قول العرب أسجد إذا طأطأ رأسه وانحنى قال حميد بن ثور : ومنه قول العرب أسجد إذا
طأطأ رأسه وانحنى قال حميد بن ثور : % (فلما لوين على معصم % وكف خضيب وأسوارها) %
(فضول أزمتهما أسجدت % سجود النصارى لأخبارها) % .
وعلى هذا القول فالسجود لغوي لا شرعي ، وهذا الخلاف المذكور جار أيضاً في سجود الضلال
فقيل سجودها حقيقي □ تعالى قادر على أن يخلق لها إدراكاً تدرك به وتسجد □ سجوداً
حقيقياً وقيل سجودها ميلها بقدره □ أول النهار إلى جهة المغرب وآخره إلى جهة المشرق
وادعى من قال هذا أن الظل لا حقيقة له لأنه خيال فلا يمكن منه الإدراك . .
ونحن نقول : إن □ جل وعلا قادر على كل شيء فهو قادر على أن يخلق للظل إدراكاً يسجد به
□ تعالى سجوداً حقيقياً والقاعدة المقررة عند علماء الأصول هي حمل نصوص الوحي على
طواهرها إلا بدليل من كتاب أو سنة ولا يخفى أن حاصل القولين : .

أن أحدهما : أن السجود شرعي وعليه فهو في أهل السموات والأرض من العام المخصوص : .
والثاني : أن السجود لغوي بمعنى الانقياد والذل والخضوع وعليه فهو باق على عمومته
والمقرر في الأصول عند المالكية والحنابلة وجماعة من الشافعية أن النص إن دار